الموجه الى اليهود انفسهم اقل ظهورا . ولذلك فان هذا البحث سينصب على ذلك الجانب من النشاط، وهو على اشده في الولايات المتحدة التي تمثل منذ زمن طويل اكبر نصير ومعين لاسرائيل ، والتي يعتبر يهودها اكبر واغنى واقوى فئة في العالم .

وقد يرى البعض انه ليس ثمة حاجة الى نشاط صهيوني ليكون اليهود صهاينة ، او بعبارة أخرى ان كل اليهود صهاينة، ولذلك فان اي نشاط يهودي مهما كان هو نشاط صهيوني ، فلا يمكن التمييز بين الاثنين . الا ان في هذا الرأي شيئا من التبسيط لواقع الامور . اذ صحيح أن العقيدة الصهيونية تمثل جزءا لا يتجزأ من الديانةاليهودية، وان اليهود كانوا دائما يعزلون انفسهم اكثر من غيرهم من الاقليات الى حدود تضيق او تتسع حسب الزمان والمكان ، بيد أن هذين الامرين — واحدهما ديني والاخر اجتماعي — ما كان ليكون لهما كل ذلك الاثر من جمع كلمة يهود العالم وتسخيرهم لخدمة اغراض ذات منطويات سياسية عميقة الجذور ، لولا التنظيمات الصهيونية التي تغلغلت على مدى الايام الى كل نواحي حياة المجتمعات اليهودية ، من دينية وثقافية واجتماعية وسياسية ومالية ، بحيث اصبح من الصعب على اي يهودي ، مهما بلغ من استقلاله الفكري ، أن يتخلص من ربقتها .

وانا اؤكد على تعبير « المنطويات السياسية العميقة الجذور » للصهيونية لاوضح أن الاخذ بمبدأ كالصهيونية يستهدف قطع صلة فئة معينة بالمجتمعات التي تعيش بين ظهرانيها ليس بالامر الهين حتى في البلاد التي تمارس الحرية الفكرية والسياسية ، ناهيك عن البلاد التي لا تمارسها ، لما يثيره من شكوك في ولاء تلك الفئة ويضعه من عراقيل في طريق مساعيها للمساواة التامة مع بقية افراد المجتمع . وقد فطن لذلك بعض قادة اليهود بالنسبة الى الصهيونية ، كما لا يزال هناك من رجالهم من يعارضها ، الا ان الصهيونية حاربتهم بكل ما لديها من وسائل سعيا الى كتم اصواتهم وشل حركتهم بنفس الشراسة التي حاربت بها معارضيها من غير اليهود . وقد نجحت في حربها تلك الى حد كبير ، لانها لم تتورع عن استخدام أية وسيلة من الوسائل لتحقيق أهدافها ، وذلك على اساس أن « الغاية تبرر الواسطة » . وقد كانت بارعة جدا في استخدام تلك الوسائل ، فلكل وسيلة زمانها ومكانها وهدفها ، كما ان المنهج الذي اتبعته كان منهجا كليا يقوم على اساس سد جميع « الثغرات » وعدم ترك شيء للظروف . ونتيجة لذلك نجد ان برنامجها « المتعدد الوجوه » يتحكم الان في اليهود من المهد الى اللحد ، دون وعي منهم في الكثير من الحالات . وهدف هذا البحث هو أن يشرح بايجاز بعض مظاهر ذلك البرنامج واهدافه ووسائله وطرق تنفيذه ، لما فيها من فائدة للقارىء العربي ، اذ لا يمكن مقاومة شيء دون فهم حقيقته .

الذاتية اليهودية

قلنا أن أهم غايات البرنامج الصهيوني منذ عام ١٨٩٧ هو تنمية الوعي القومي اليهودي بين يهود « المنفى » توطئة لانشاء « الوطن القومي اليهودي » . والمنطق يقضي ، بعد نشوء هذا « الوطن القومي اليهودي » في صورة «اسرائيل»، بأن يرحل من تكون لديه هذا « الوعي القومي » الى اسرائيل ، وان يترك يهود « المنفى » وولاؤهم القومي للبلاد التي يعيشون فيها . ولكن الصهيونية، كدأبها دائما ، تريد أن تمسك بالعصا من طرفيها . فهي تعرف جيدا أنه لولا يهود « المنفى » ، ولا سيما في الولايات المتحدة ، لما امكن لاسرائيل البقاء طويلا ، وهي تحرص لذلك على ابقاء جذوة « الشخصية القومية اليهودية » متقدة في صدور كل اليهود . بيد انها تعلم أن في السبيل الذي تسلكه لبلوغ هذا الهدف شيئا من الوعورة ، لاصطدامه في كل بلد بالولاء القومي له، وهي لذلك تؤثر أن تطلق عليه تسمية مأمونة هي « الذاتية اليهودية » ، وهي تعني بها أية رابطة، مهما بلغ من ضعفها ، تربط صاحبها باليهود . واسلوب الصهيونية هو الضغط على كل من له رابطة باليهود — حتى لو كان ملحدا لا يعرف شيئا عن الديانة اليهودية او حضارة اليهود وتاريخهم— كي يعترف بهذه «الذاتية اليهودية» ، فيبدو المطلب هينا ، ولا يعترض عليه أحد . ولكن ما يخفى على الكثيرين هو أن هذه « الذاتية اليهودية » تعني في قاموس الصهيونية « اليهودية » الصرفة ، وان « اليهودية » تعني « الصهيونية » و « الولاء لاسرائيل » ، وللثقافة « العبرية » ولتاريخ اليهود